



المجموع المفيد من فضائل التوحيد



إعداد

أبي الحسن الروقي العتيبي

غفر الله له ولوالديه ولشايخه وللمسلمين

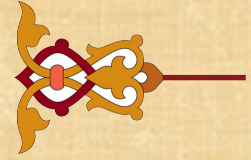
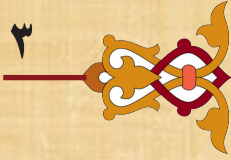
الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمّة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أما بعد

فإن الدعوة إلى التوحيد، ببيان حقيقته، وحُكْمِهِ، وفضائله، وبيان ما يُضادُّه، أو يُنقِصُ كماله؛ من أشرف القُرْبَات، وأعظم الطاعات، ومن أنفس الكتب المصنفة في هذا الباب «كتاب التوحيد» الذي صنّفه الإمام محمد بن عبد الوهاب **رَحْمَةُ اللَّهِ**، فإنه كما قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «ليس له نظير في الوجود، قد وضح فيه التوحيد الذي أوجبه الله على عباده، وخلقهم لأجله، ولأجله أرسل رسله، وأنزل كتبه، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر والبدع، وما يُقَرِّبُ من ذلك أو يُوصِلُ إليه، فصار بديعا في معناه، لم يُسبق إليه، علما للموحدين، وحجة على الملحدين، واشتهر أي اشتهار، وعكف عليه الطلبة، وصار الغالب يحفظه عن ظهر قلب، وعمّ النفع به» اهـ^(١).

وكان من جملة أبواب كتاب التوحيد: «باب فضل التوحيد وما يُكفّر من الذنوب»، و«باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب»^(٢).

(١) حاشيته على كتاب التوحيد (ص ٧).

(٢) انظر: الباب الثاني، والباب الثالث من أبواب كتاب التوحيد.

وهذا من بَراعة التصنيف؛ فإن الشيخ **رَحْمَةُ اللَّهِ** لما بَيَّنَّ حقيقة التوحيد في فاتحة كتابه؛ ناسبَ أن يبين فضائل التوحيد؛ فإن النفوس تتشوق لِئِيلِ الفضائل وتحصيلها، وقد أحسن علماؤنا رحمهم الله تعالى في بيان فضائل التوحيد، وقد أخذ الشيخ العلامة المفسر عبد الرحمن ابن سعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** من ذلك بحظ وافر؛ فإنه ذكر من فضائل التوحيد ما لو رَحَلَ طالب العلم إلى أقصى الأرض لتحصيل ذلك لم يكن كثيرا، ويكفينا قوله **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد»^(١).

ولشدة عناية العلماء بهذا الباب، أحببت أن أكتب نُبْدَةً من فضائل التوحيد، «مُتَطَفِّلاً عليهم، لَعَلِّي أن أنظِمَ في سِلْكِهِمْ، وأُدخِلَ في عِدَادِهِمْ، وأُحشِرَ في زميرتهم لأمع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»^(٢).

وأقول كما قال الحافظ العراقي **رَحْمَةُ اللَّهِ**:

والله أرجو في أموري كُلِّها مُعْتَصِمًا في صَعْبِها وَسَهْلِها^(٣)

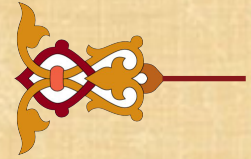
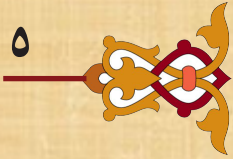
والحمد لله أولا وآخرا.



(١) القول السديد (ص ٥٦-٦٥).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/١٢٢).

(٣) فتح المغيث للسخاوي (١/١).



﴿الفضيلة الأولى﴾

أن التوحيد تعظيمٌ لله جَلَّ وَعَلَا، كما أن ضده، وهو الشرك تنقصٌ لله جَلَّ وَعَلَا

وقد أشار إلى هذا المعنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ في مسائل كتاب التوحيد. (١)

ومن دلائل هذه الفضيلة، قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: آية ٦٧].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «ما ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنه يوم القيامة يفعل هذا، هذا قَدْرٌ ما تحتمله العقول؛ وإلا فعظمة الله وجلاله أَجَلٌ من أن يُحِيطَ بها عقل، فَمَنْ هذا بعضُ عظمته، كيف يُجْعَلُ في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا؟! هذا هو أظلم الظلم، وأقبح الجهل، كما قال العبد الصالح لابنه ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣)» اهـ (٢)

ومن دقيق فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ خَتَمُهُ لكتاب التوحيد بـ«باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾».

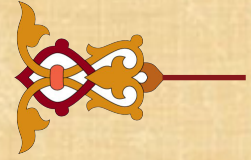
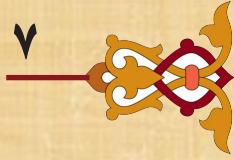
(١) انظر: الباب الرابع، المسألتين الرابعة والخامسة.

(٢) مجموع مؤلفاته (٣٤٦/٥)، وانظر: فتح المجيد (١/١٧٣).

قال الشيخ عبد الله بن حُمَيد رَحِمَهُ اللهُ: «ومن دقيق فهم المصنف وذكائه أنه ختم كتابه بهذا الباب الدال على إثبات أسماء الله وصفاته، والدال على أن العبادة لا تصلح إلا لله، وأن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله ما قدر الله حق قدره، وأن من شَبَّه الله بخلقه، أو نفى عنه شيئاً من الصفات ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾» اهـ. (١)



(١) شرحه لكتاب التوحيد (ص ٧٦٨).



﴿الفضيلة الثانية﴾

أَنَّ الْعِلْمَ بِالتَّوْحِيدِ أَشْرَفُ الْعُلُومِ

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد» اهـ^(١)

وقال الشيخ ابن سعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في تفسير قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران: آية ١٨]: «وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد؛ لأن الله شهد به لنفسه، وأشهد عليه خواص خلقه» اهـ.^(٢)

﴿فائدة﴾

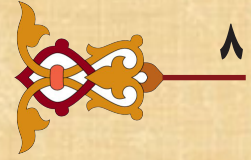
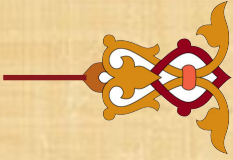
قال الإمام محمد بن عبد الوهاب **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من فنّ المطاوعة خاصة؛ بل البحث عنها، وتعلمها، فرض لازم على العالم والجاهل، والمُحْرِمِ والمُحِلِّ، والذكر والأُنثى» اهـ.^(٣)

وقال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد: آية ١٩]: «يجب على كل مسلم أن يعلم معنى (لا إله إلا الله)، ويعتقده بقلبه، ويقولها

(١) إعلام الموقعين (٤/١).

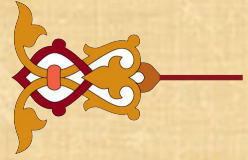
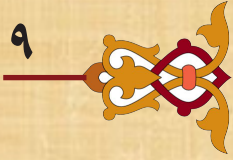
(٢) تفسيره (٢٠٣٧/٤).

(٣) مجموع مؤلفاته (١٨٩/٦).



بلسانه، ويعمل بمقتضاها، وإلا فليس من أهلها ولو قالها في كل يوم ألف مرة، ومعناها: أن يشهد قائلها على نفسه قولاً واعتقاداً وعملاً أنه لا يعبد إلا الله، ويتبرأ من عبادة غيره، ويحب في ذلك ويغض فيه، ويوالي فيه ويعادي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل (لا إله إلا الله) اهـ. (١)





﴿ الفضية الثالثة ﴾

أن أعظم سورة في القرآن، والسورة التي تعدل ثلثه، وأعظم آية في القرآن،
كلها مبنية على التوحيد.

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «ومما يبين عظمة شأن التوحيد، وشدة خطر الشرك: أن أعظم سورة في القرآن، والسورة التي تعدل ثلثه، وإنما هي بضع عشرة كلمة، والسورة التي ورد أنها تعدل ربعه، وأعظم آية في القرآن = كلها مبنية على توحيد العبادة.

أما أعظم سورة في القرآن فأُمُّ الكتاب، وأما السورة التي تعدل ثلث القرآن فـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: آية ١]، وأما السورة التي ورد فيها أنها تعدل ربع القرآن فـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [سورة الكافرون: آية ١]، وأما الآية فآية الكرسي» اهـ. (١)

﴿ قلت ﴾

أجاد الشيخ وأفاد **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وإنما اقتصر على ما ذكر من السور وآية الكرسي لما ورد فيها؛ وإلا فالقرآن كله في التوحيد.

■ وهذه نقول عن الأئمة الفحول:

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه؛ فإن القرآن:

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (١/٣٧-٥٥) وبسط القول في ذلك.

- إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري.
 - وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وَخَلَعَ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي.
 - وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته.
 - وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيدِهِ وطاعته وما فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الآخِرَةِ؛ فهو جزاء توحيدِهِ.
 - وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا مِنَ النَّكَالِ وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقُوبِ مِنَ الْعَذَابِ؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.
- فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم» اهـ. (١)

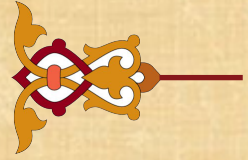
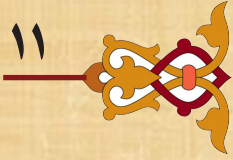
وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «والقرآن من أوله إلى آخره يبين لكم كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله» اهـ. (٢)

وقال ابنه الشيخ عبد اللطيف **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «اقرأ كتاب الله من أوله إلى آخره تجد بيان التوحيد والأمر به، وبيان الشرك والنهي عنه، مقررا في كل سورة، وفي كثير من سور القرآن يقرره في مواضع منها، يعلم ذلك من له بصيرة وتدبير» اهـ. (٣)

(١) مدارج السالكين (٣/٤٥٠)، وانظر: الاقتضاء (٢/٢٢٨ و٣٦٧) مهم، والتعليق على قرآني عيون الموحدين (١/٣٩٠).

(٢) مجموع رسائله (ص ٢٨٣).

(٣) عيون الرسائل وأجوبة المسائل (٢/٦٤٥).



﴿الفضيلة الرابعة﴾

أن التوحيد سبب لصالح العالم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللهُ**: «وَمَنْ تَدَبَّرَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَجَدَ كُلَّ صَلَاحٍ فِي الْأَرْضِ؛ فَسَبَبُهُ تَوْحِيدَ اللَّهِ وَعِبَادَتَهُ، وَطَاعَةَ رَسُولِهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَكُلَّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ، وَفِتْنَةٍ، وَبَلَاءٍ، وَقَحْطٍ، وَتَسْلِيْطِ عَدُوٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَسَبَبُهُ مَخَالَفَةُ الرَّسُولِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَالدَّعْوَةُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا حَقَّ التَّدَبُّرِ؛ وَجَدَ هَذَا الْأَمْرَ كَذَلِكَ، فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَفِي غَيْرِهِ، عَمُومًا وَخُصُوصًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» اهـ. (١)

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «فلا اجتماع للقلوب، ولا صلاح للعالم إلا بالتوحيد، كما قال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ فَسَدَّتَا فَنَسَبْنَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) [سورة الأنبياء: آية ٢١-٢٢]، ولذلك إذا حَلَّتْ الْأَرْضُ مِنَ التَّوْحِيدِ، قَامَتِ الْقِيَامَةُ؛ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ النَّبِيِّ، **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ» اهـ. (٢)



(١) مجموع الفتاوى (٢٥/١٥).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص ٤٦).

الفصل الخامسة

أن التوحيد أعظمُ مكفّراتِ الذُّنوبِ

ومن دلائل هذا المعنى:

قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ومن لَقِينِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً، لا يُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». رواه مسلم.

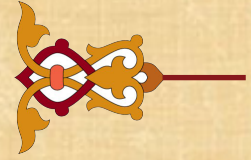
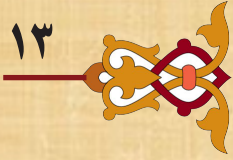
وقول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثاً: أُعْطِيَ الصَّلواتِ الخمس، وأُعْطِيَ خواتيم البقرة، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً الْمُقْحَمَاتِ». رواه مسلم.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «التوحيد أعظم الأسباب التي تُسْتَجَلَبُ بِهَا المَغْفِرَةُ، وَعَدَمُهُ مانعٌ من المَغْفِرَةِ بالكلية» اهـ. (١)

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «من جاء مع التوحيد بِقُرَابِ الأَرْضِ - وهو مِلْؤُهَا أو ما يُقَارِبُ مِلْأُهَا - خَطِيئاً، لَقِيَهُ اللهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، لكن هذا مع مشيئة الله، فإن شاء غَفَرَ لَهُ، وإن شاء أَخَذَهُ بِذُنُوبِهِ، ثم كان عاقبته ألا يُخَلَّدَ فِي النار، بل يُخْرَجُ مِنْهَا، ثم يَدْخُلُ الجنة، فإن كَمُلَ توحيد العبد وإِخْلَاصُهُ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ، أَوْجِبَ ذَلِكَ مَغْفِرَةً ما سَلَفَ مِنْ الذُّنُوبِ كُلِّهَا، وَمَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ النار بالكلية، فإن هذا التوحيد هو الإكسيرُ الأَعْظَمُ، فلو وُضِعَ مِنْهُ ذَرَّةٌ عَلَى جِبَالِ الذُّنُوبِ وَالخَطَايا لَقَلْبُهَا حَسَنَاتٌ» اهـ. (٢)

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٤/١٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٧٣٤).



وقال الشيخ ابن باز **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «التوحيد هو أعظم الحسنات، وهو أعظم الواجبات، وهو أعظم الأعمال تكفيرا للذنوب، ليس هناك عملٌ أعظم من التوحيد في تكفير الذنوب، لأنه رأس الأعمال، وأساسها، وأهمها، وأوجبها، وكل الأعمال بعده لا تصح إلا بعد وجوده» اهـ. (١)



(١) شرحه لكتاب التوحيد (ص ٣١) ط المؤسسة.

﴿ الفضيحة السادسة ﴾

أن التوحيد هو السبب الأعظم لتفريغ كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما (١)

﴿ ومن دلائل هذا: ﴾

قول الله تعالى عن المشركين: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ [سورة الصافات: آية ٣٨-٤٠].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٤٠) ﴿ الموحدين ﴾ اهـ (٢).

أي: فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب الأليم.

﴿ ومن دلائل هذا أيضا: ﴾

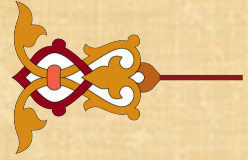
قوله تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٢٤) [سورة يوسف: آية ٢٤].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لما أَخْلَصَ عمله لله، أَخْلَصَهُ اللهُ، وَخَلَّصَهُ مِنْ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ اهـ (٣).

(١) القول السديد (ص ٥٧).

(٢) تفسير البغوي (٣/٦٥٩).

(٣) تفسيره (٢/٨١٣)، ضمن فصل ذكره في الفوائد المستنبطة من سورة يوسف، وانظر: مجموع مؤلفاته (٣/٧١٨).

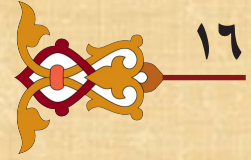
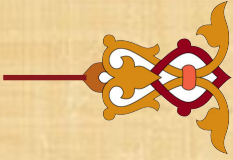


ومن دلائل هذا أيضا: ❁

قوله تعالى عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٨٨].

قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: «هذا وعدٌ وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم: أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه، ويخفف عنه لإيمانه، كما فعل بيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ» اهـ. (١)





﴿الفضيلة السابعة﴾

أن أسعد الناس بشفاعته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة هم أهل التوحيد. (١)

روى البخاري أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل: من أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قلبه».

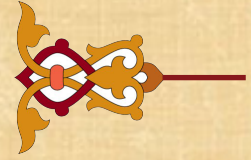
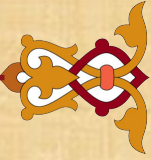
وفي صحيح مسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى سبحانه».

قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٨]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [سورة طه: آية ١٠٩].

فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع؛ إلا بعد رضاه قول المشفوع له، وإذنه للشافع.

(١) القول السديد (ص ٥٨).



فأما المشرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه؛ فإنه سبحانه علّقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة» اهـ. (١)



(١) إغاثة اللفهان (١/٣٩٦)، وانظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (ص١٣٩).

﴿ الفضيحة الثامنة ﴾

أَنْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ يَحْصُلُ لَهُمُ الْهُدَى الْكَامِلَ وَالْأَمْنَ التَّامَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (١)

﴿ ومن شواهد هذا المعنى : ﴾

قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [سورة الأنعام: آية ٨٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً: هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة» اهـ. (٢)

وفي البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَا لَا يَظْلَمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لِقْمَانَ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكُ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) [سورة لقمان: آية ١٣]».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فمن سَلِمَ من أجناس الظلم الثلاثة -الشرك، وظلم العباد، وظلم العبد لنفسه-، كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يَسَلِّمْ من ظلمه لنفسه، كان له الأمن والاهتداء مطلقاً؛ بمعنى: أنه لا بد أن

(١) القول السديد (ص ٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٤).



يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْ نَقْصِ الْأَمْنِ وَالْإِهْتِدَاءِ بِحَسَبِ مَا نَقَصَ مِنْ إِيْمَانِهِ بِظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ.

وليس مرادُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله «إنما هو الشرك» أنَّ من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام؛ فإنَّ أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أنَّ أهلَ الكبائر مُعَرَّضُونَ للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التام، الذي يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم، ولا بد لهم من دخول الجنة.

وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما هو الشرك»:

إنَّ أَرَادَ بِهِ الشَّرْكَ الْأَكْبَرَ؛ فَمَقْصُودُهُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، فَهُوَ آمِنٌ مِمَّا وُعدَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ مُهْتَدٍ إِلَى ذَلِكَ.

وإنَّ كَانَ مُرَادُهُ جِنْسَ الشَّرْكِ: فَيَقَالُ: ظَلَمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ كِبْخَلِهِ - لِحُبِّ الْمَالِ - بَبَعْضِ الْوَاجِبِ، هُوَ شَرِكٌ أَصْغَرٌ، وَحُبُّهُ مَا يَبْغِضُهُ اللهُ حَتَّى يَكُونَ يَقْدَمُ هَوَاهُ عَلَى مَحَبَّةِ اللهِ شَرِكٌ أَصْغَرٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

فهذا قد فاتته من الأمن والاهتداء بحسبه؛ ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار» اهـ. (١)

﴿الفضيلة التاسعة﴾

أن التوحيد هو الرابطة الحقيقية التي تجعل المسلمين كالجسد الواحد

﴿ومن شواهد هذا المعنى:﴾

قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠٣].

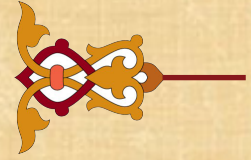
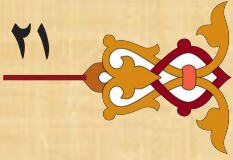
قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي صِرْتُمْ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ إِخْوَانًا فِي الدِّينِ» اهـ. (١)

﴿ومن شواهد هذا المعنى أيضا:﴾

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُو تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». رواه مسلم.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرابطة الحقيقية التي تَجْمَعُ الْمُتَفَرِّقَ وَتُوَلِّفُ الْمُخْتَلَفَ هِيَ رَابِطَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَلَا تَرَى أَنَّ هَذِهِ الرَابِطَةُ الَّتِي تَجْعَلُ الْمُجْتَمَعَ الْإِسْلَامِي كُلَّهُ كَأَنَّهُ جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَتَجْعَلُهُ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، عَطَفَتْ قُلُوبَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى بَنِي آدَمَ فِي الْأَرْضِ مَعَ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْاِخْتِلَافِ!

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٥١).



قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [سورة غافر: آية ٧] الآيات.

فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا لهم بهذا الدعاء الصالح العظيم؛ إنما هي الإيمان بالله **جَلَّ وَعَلَا**، وبالجملة؛ فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط أهل الأرض بأهل السماء هي رابطة «لا إله إلا الله» اهـ. (١)



(١) أضواء البيان (٣/ ٥٣١) باختصار يسير.

﴿الفضيلة العاشرة﴾

وهي من أجل فوائده: أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية. (١)

﴿ومن دلائل هذه الفضيلة:﴾

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الشفاعة: «فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجه من النار». الحديث. متفق عليه.

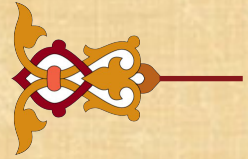
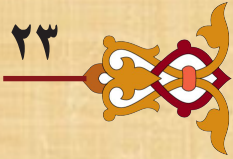
وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله» رواه الشيخان.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «هذا من فضل التوحيد: إما أن يسلم من النار نهائياً، وإما أن يسلم من الخلود فيها».

إلى أن قال: «أفلا يحق لعلم هذا فضله أن يعتنى به، وأن يُدرَس، وتُعرفَ تفاصيله، حتى يكون الإنسان من أهله، ويحوزَ على هذه الفضائل العظيمة، فالتوحيد جديرٌ بالعناية؛ لأنه هو الأصل، ولأنه هو أساسُ السلامة من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» اهـ. (٢)

(١) القول السديد (ص ٥٧).

(٢) التعليق على قرّة عيون الموحدين (١/١١٣).



﴿الفضيلة الحادية عشرة﴾

أن الله يدفع عن أهل التوحيد كيد الشياطين.

ومن شواهد هذا المعنى:

قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النحل: آية ٩٨-١٠٠].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فأخبر سبحانه أن المتوكلين على الله ليس للشيطان عليهم سلطان، وإنما سلطانه على المتوكلين له، وأصله المحبة والموافقة، كما أن العداوة أصلها البغض والمخالفة، فالمتولون له هم الذين يحبون ما يحبه الشيطان ويوافقونه».

إلى أن قال: «وإنما يعرض هذا كله لضعف ما في القلب من حب الله وإخلاص الدين له، عبادة واستعانة، فيكون فيه من الشرك ما يُسلطُ الشيطان عليه».

إلى أن قال: «ولهذا لم يخلص من الشيطان إلا المخلصون لله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا غُورِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الحجر: آية ٤٢] اهـ. (١)

(١) جامع الرسائل (٢/ ٢٦٣ و ٢٦٧ و ٢٩١)، وانظر للفائدة: مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (٢٢٧/٥)، ومجموع مؤلفات ابن سعدي (٥٥/٣).

وفي الصحيحين: أن «من قال: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» في يوم مائة مرة، كانت حرزاً له من الشيطان حتى يمسي».

وفي صحيح البخاري: «إذا أويتَ إلى فراشك فاقراً آية الكرسي حتى تختتم الآية؛ فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطانٌ حتى تُصبح».

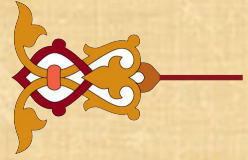
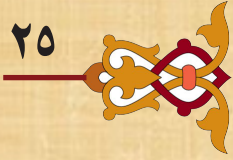
وذلك والله تعالى أعلم لما اشتملت عليه من براهين التوحيد. ^(١)

قال شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «ومع هذا؛ فقد جَرَّبَ الْمُجَرَّبُونَ الَّذِينَ لَا يُحْصُونَ كَثْرَةَ أَنَّ لَهَا - لآية الكرسي - من التأثير في دفع الشياطين، وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته» اهـ. ^(٢)



(١) انظر للفائدة: جامع المسائل لابن تيمية، المجموعة الأولى (ص ٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٥/١٩).



الفضيلة الثانية عشرة

وهي من فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا كمل في قلب الموحد؛

فإنه لا يعدله شيء في الميزان. (١)

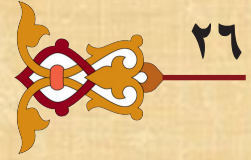
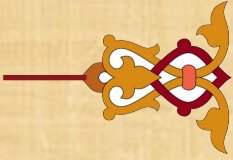
ومن دلائل ذلك:

حديث صاحب البطاقة، وفيه: «أنه يُصاحُّ برجل من هذه الأمة على رؤوس الخلاتق يوم القيامة، فيُنشَرُ له - من سيئاته - تسعةٌ وتسعون سِجلاً، كل سجل مثل مدِّ البصر، فيهابُّ الرجل، فيقال له: هل لك من حسنة؟ فيقول: لا. فيقال له: لا ظلم عليك، إن لك عندنا حسنة، فتخرج بطاقة مكتوب فيها «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، فيقول: يا رب! وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال له: إنك لا تُظلم. فتوضع السجلات في كِفَّة، والبطاقة في كفة، فتطيشُ السجلات، وتثقلُ البطاقة». رواه الإمام أحمد وغيره، وهو حديث صحيح. (٢)

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «وهذا الحديث - حديث البطاقة - وغيره من الأحاديث التي تدل على أن لا إله إلا الله يدخُلُ بها صاحبها الجنة وينجو من النار مقيدةً بالأحاديث الأخرى التي تدل على وجوب العمل، أما من يقولها ولا يعمل بمقتضاها؛ فإنها لا تنفعه، لكنَّ هذا الرجل قالها عن يقين

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٢/٣٧٥)، والقول السديد (ص ٦١).

(٢) وانظر: مجموع رسائل ابن رجب (٢/٣٥٠).

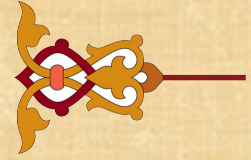
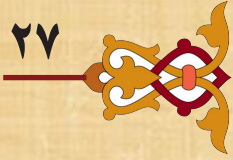


وإخلاص ومات على ذلك، أي: مات موحدًا تائبًا إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، فمحا الله بها جميع ذنوبه».

إلى أن قال: «فحديث البطاقة هذا فيه بيان فضل التوحيد إذا سَلِمَ صاحبه من الشرك، وأن الله **عَزَّوَجَلَّ** يغفر له ذنوبه ولو كانت كثيرة» اهـ. ^(١)



(١) التعليق على قرّة عيون الموحدين (١/١٩٦-١٩٨).



﴿الفضيلة الثالثة عشرة﴾

أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها، وفي كمالها،

وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد. (١)

فلا يقبل العمل إلا بالتوحيد، ولا يكمل إلا بالتوحيد، ولا يثاب عليه إلا بالتوحيد.

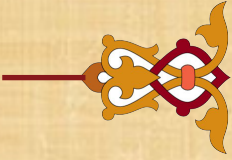
قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية ٨٥].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل الإسلام: هو التوحيد، ونفي الشرك في العبادة، وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله، كما قال تعالى عن أول رسول أرسله: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتَهُمْ وَأَطِيعُونَ﴾ [سورة نوح: آية ٣] اهـ. (٢)

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [سورة التوبة: آية ١٧].

(١) القول السديد (ص ٥٨).

(٢) فتح المجيد (١/٢٠٢).



قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ: «نفى تَبَارَكَ وَتَعَالَى عمارة المساجد عن المشركين بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ الآية؛ إذ لا تنفعهم عمارتها مع الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٣]» اهـ. (١)

وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة التوبة: آية ٥٤].

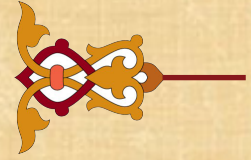
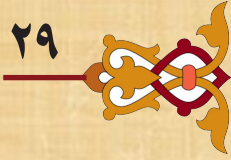
وفي الحديث القدسي: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». رواه مسلم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فكل عبادة لا تنبني على التوحيد؛ فهي باطلة» اهـ. (٢)



(١) تيسير العزيز الحميد (٢/٨٥٢).

(٢) القول المفيد (١/٤٩)، وانظر للفائدة: مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (١/١٦٥).



﴿ الفضيحة الرابعة عشرة ﴾

أن أفضل ما قاله النبيون الكلمة الدالة على التوحيد، وهي « لا إله إلا الله ».

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». رواه الترمذي. وهذه الكلمة لها «فضائل عظيمة لا يمكن استقصاؤها». قاله الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ. (١)

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفضائل هذه الكلمة، وحقائقها، وموقعها من الدين: فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون» اهـ. (٢)

وقد أفرد العلامة يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ «فضائل لا إله إلا الله» في مصنف، ذكر فيه مائتي فضيلة لهذه الكلمة الطيبة. (٣)

﴿ فائدة ﴾

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان بالناس؛ بل بالعالم كُله من الضرورة إلى لا إله إلا الله ما لا نهاية في الضرورة فوقه؛ كانت أكثر الأذكار وجوداً، وأيسرها حصولاً، وأعظمها معنى» اهـ. (٤)

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٢/٣٧٢-٣٨٥) وبسط القول في ذكر فضائلها.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٢٥٦).

(٣) انظر: منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد (١/١٨٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد (١/٢٠٣).

﴿الفضيلة الخامسة عشرة﴾

أن التوحيد سببٌ للعلو والشرف، كما أن ضده وهو الشرك سببٌ للذل والسقوط.

قال الله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَظَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج: آية ٣١].

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «فدللت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع، وأن الشرك هبوط وسُفول وسقوط» اهـ. (١)

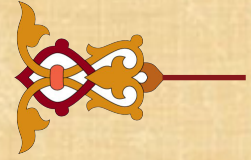
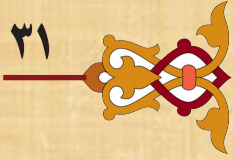
وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ: «ومن لا تخوفه هذه الآية وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه» اهـ. (٢)

وقد أجاد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في بيان معناها، فقال: «بَيَّنَّ تعالى في هذه الآية الكريمة: أن من أشرك بالله غيره، أي: ومات ولم يتب من ذلك؛ فقد وقع في هلاك لا خلاص معه بوجه، ولا نجاة معه بحال؛ لأنه شبهه بالذي خرَّ: أي سقط من السماء إلى الأرض، فتمزقت أوصاله، وصارت الطير تتخطفها، وتهوي بها الريح فتلقبها في مكان سحيق: أي محل بعيد لشدة هبوبها بأوصاله المتمزقة، ومن كانت هذه صفته؛ فإنه لا يرجى له خلاص، ولا يُطَمَع له في نجاة، فهو هالك لا محالة» اهـ. (٣)

(١) المجموع المفيد في تفسير كلمة التوحيد (ص ٣٤).

(٢) قرة عيون الموحدين (ص ١٥٦).

(٣) أضواء البيان (٥/ ٧٥٢).



قال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: «وهو أيضا معلوم بالاعتبار والاستقراء، ما عَلَّقَ العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل، وقد قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢) [سورة مريم: آية ٨١-٨٢] اهـ. (١)



الفضيلة السادسة عشرة

أن الله تعالى تكفل لأهل التوحيد بالفتح والنصر في الدنيا. (١)

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ

﴿٥١﴾ [سورة غافر: آية ٥١].

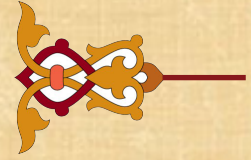
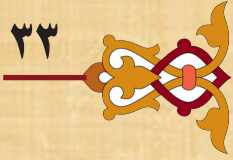
وهذا مثال من الواقع:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ لما تكلم عن قتال أهل الشام للتتار: «جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله عَزَّوَجَلَّ، والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مُقَرَّب، ولا نبي مُرْسَل، كما قال تعالى يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: آية ٩]».

إلى أن قال: «فلما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة بربهم، نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا، لم يتقدم نظيره، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلا لما صَحَّ من تحقيق توحيده وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك؛ فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» اهـ. (٢)

(١) القول السديد (ص ٦٣).

(٢) الرد على البكري (ص ٤١٣ و ٤١٤).



وقال الشيخ محمد تقي الدين الهاللي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «كُلُّ دَاعٍ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ،
وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، مَخْلُصٌ فِي دَعْوَتِهِ، يَرَى الْعَجَبَ الْعَجَابَ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ،
وَإِبْطَالِ كَيْدِ الْمُشْرِكِينَ لَهُ، هَذَا فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ بِالْآخِرَةِ؟!» اهـ. (١)



(١) سبيل الرشاد في هدي خير العباد (١/٥٩٣).

الفصل السابعة عشرة

أن التوحيد يُحرِّر العبد من رِقِّ المخلوقين، والتعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم،

والعمل لأجلهم. (١)

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «عبادة الله **جَلَّ وَعَلَا** هي الحرية الصحيحة، ليست الحرية أن الإنسان يشرك، ويكفر، ويعتقد ما شاء، كما يقولون: الناس أحرار في اعتقادهم!! لا؛ بل الناس خلقوا لعبادة الله، وعبادة الله ليست من باب الذل والمهانة؛ وإنما هي من الإكرام، ومن الرفعة، وهذا شرف للعبد، والله **جَلَّ وَعَلَا** أكرم نبيه بالعبودية له، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [سورة الإسراء: آية 1]، فعبودية الله شرف، أما عبودية غيره؛ فهي ذل ومهانة» اهـ. (٢)

وقال حفظه الله: «لأن الشرك رِقٌّ للشيطان بَدَل الرِّقِّ للرحمن، ورحم الله الإمام ابن القيم حيث يقول:

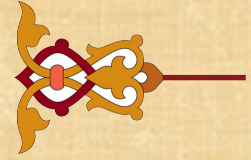
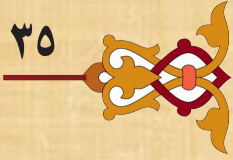
هربوا من الرِّقِّ الذي خلقوا له فبُؤوا برِقِّ النفس والشيطان

يعني: هم أرقاء لله، عبيد لله، لكن لما أشركوا به صاروا عبيدا للشيطان، وعبيدا للنفس والهوى، فالإنسان خلق لعبادة الله، فإذا تركها صار عبدا للشيطان، فهو عبْدٌ ولا بُدَّ» اهـ. (٣)

(١) القول السديد (ص ٦٠).

(٢) إعانة المستفيد (ص ١٥٣) وانظر: التعليق على قرّة عيون الموحدين (١/٤٤٢).

(٣) إعانة المستفيد (ص ١٥٣).



وقال الشيخ ابن عثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «والعبودية لله **عَزَّوَجَلَّ**، لا شك أنها تمام الحرية، وكل من كان لله أعبد؛ فهو أشد تحرراً ممن كان على العكس» اهـ. (١)

وقد أرشد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** إلى تحقيق هذا المعنى، فقال له: «إذا سألت فاسأل الله» الحديث. رواه الترمذي.

قال الحافظ ابن رجب **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «واعلم أن سؤال الله **عَزَّوَجَلَّ** دون خلقه هو المتعين؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل، والمسكنة، والحاجة، والافتقار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده؛ لأنه حقيقة العبادة، وكان الإمام أحمد يدعو، ويقول: «اللهم كما صُنْتَ وجهي عن السجود لغيرك، فَصُنْهُ عن المسألة لغيرك» اهـ. (٢)



(١) تفسير سورة ص (ص ١٩٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٣٦١).

﴿ مسك الختام ﴾

وَصِيَّتَانِ مِنْ وَصَايَا عُلَمَاءِ التَّوْحِيدِ

﴿ الأولى: وصية الحافظ ابن رجب: ﴾

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «إخواني! اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد؛ فإنه لا يوصل إلى الله سواه، واحرصوا على القيام بحقوقه؛ فإنه لا يُنَجِّي من عذاب الله إلا إياه» اهـ. (١)

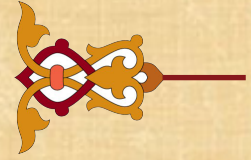
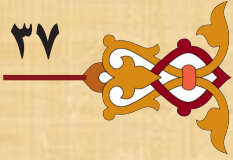
﴿ والثانية وصية الشيخ عبد الرحمن بن حسن: ﴾

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «أوصيكم بتدبر أنوار الكتاب، التي هي أظهر من الشمس في نحر الظهيرة ليس دونها قترٌ ولا سحاب، لا سيما دلائل التوحيد، والتفكر في مدلولاته ولوازمه وملزوماته ومكملاته ومقتضياته، ثم التفطن فيما يُناقضه وينافيه من نواقضه ومبطلاته، فالخطر به شديد، ولا يسلم منه إلا من وُفِّق للصبر والتأييد والفعل الحميد، والقول السديد، وخالط قلبه آيات الوعيد، وعَرَفَ الله بأسمائه وصفاته التي تجلو الريب والشك عن كل قلب مُريد، واعتصم بالله من كل شيطان مريد».

إلى أن قال: «فالله الله في التحفظ على القلب بكثرة الاستغفار من الذنوب، جعلنا الله وإياكم ممن نجا من ظلمة الجهالة، وأخلص لله أقواله وأعماله» اهـ. (٢)

(١) مجموع رسائله (٢/٣٨٤).

(٢) مجموع رسائله (ص٢٧٠).

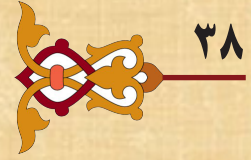
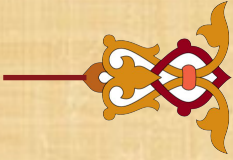


«فنسأل الله الثبات على دينه، وألا يزيغ قلوبنا بعد إزهدانا، وأن يجعلنا من أوليائه وحزبه الذين ينصرونه، ويذبون عن دينه وكتابه، وينفون عنه تحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، وزيف الزائغين، إنه ولي ذلك، وهو على كل شيء قدير، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً»^(١)

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



(١) فتح الوهاب في رد شبه المرتاب (ص ٢٨).

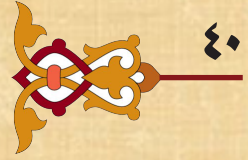
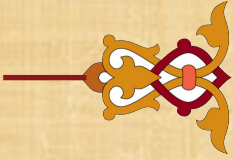


المراجع

- * الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان، ط ١٤٢٤.
- * أضواء البيان، الشنقيطي، ط دار عالم الفوائد.
- * إغاثة المستفيد، صالح الفوزان، ط الرسالة العالمية.
- * إعلام الموقعين، ابن القيم، ط دار الجيل.
- * إغاثة اللفهان، ابن القيم، ط دار عالم الفوائد.
- * اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ط دار اشبيليا.
- * التعليق على قرّة العيون، صالح الفوزان، ط التراث الذهبي.
- * تفسير البغوي، ط دار طيبة.
- * تفسير سورة ص، ابن عثيمين، ط دار الثريا.
- * تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط دار طيبة.
- * تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، ط دار الصميعي.
- * تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ط دار ابن الجوزي.
- * الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط الأوقاف القطرية.
- * جامع الرسائل، ابن تيمية، ط دار العطاء.



- * جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ط دار ابن الجوزي.
- * حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن قاسم، ط ١٤٣٢
- * الرد على البكري، ابن تيمية، ط مكتبة دار المنهاج.
- * رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، المعلمي، ط دار عالم الفوائد.
- * سبيل الرشاد في هدي خير العباد، تقي الدين الهلالي، ط الدار الأثرية.
- * شرح سماحة الشيخ ابن باز لكتاب التوحيد، ط المؤسسة
- * شرح كتاب التوحيد، عبد الله بن حميد، ط دار ابن الجوزي.
- * شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ط مؤسسة الرسالة.
- * عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، ط مكتبة الرشد.
- * فتح المجيد، عبد الرحمن بن حسن، ط دار عالم الفوائد.
- * فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، السخاوي، ط مكتبة دار المنهاج.
- * فتح الوهاب في دفع شبه المرتاب، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، ط مؤسسة بينونة.
- * قرّة عيون الموحدين، عبد الرحمن بن حسن، ط دار التوحيد.
- * القول السديد، ابن سعدي، ط دار القيس.



- * القول المفيد، ابن عثيمين، ط دار ابن الجوزي.
- * مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ط العبيكان.
- * المجموع المفيد في تفسير كلمة التوحيد، ط دار الميراث النبوي.
- * مجموع رسائل ابن رجب، ط مكتبة أولاد الشيخ.
- * مجموع رسائل الشيخ عبد الرحمن بن حسن، ط دار الهداية.
- * مجموع مؤلفات ابن سعدي، ط دار الميمان.
- * مجموع مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب، ط جامعة الإمام.
- * مدارج السالكين، ابن القيم، ط دار الكتاب العربي.
- * منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، حمد العثمان، ط دار الفرقان.

